

العالم الثالث

قصة بقلم نواف أبو الربيعاء

تقول : « تفضل واجلس » . لكنها على ما يبدو لن تفعل . احمد قال ، والنظرات ترقص فوق أنفه ، عندما تشتري فنجاني قهوة وتجلس الى جانب فتاة يظن الجميع انها اصحت ملكا خاصا بك ، والا فلماذا تقبل منك هذا العرض ؟

تناثرت الكلمات من فمه بفتة :

- اني اود ان اشرب فنجان قهوة .. هل احضر لك واحدا ؟
دون ان الرفع رأسها عن الكتاب المفتوح ، وهي لم تطو الورقة الاولى بعد ، قالت بهدوء اسكره :
- انني اود ذلك .

ضاعت الدنيا بفرحته . لو كان احمد الآن امامه لاحتضنه ووجهه قبلة حارة . وضع كتبه التي انقلت يده على الطاولة ورمقها بنظرة .. ثم استدار بحث خطاه لكي يصل الى « القهوة » بسرعة . عندما دخل وتوغل بين الكتل الجائمة الثقيلة داهمه شعور غريب : سيحسني كل هؤلاء بعد لحظات .. جميلة .. وحيدة .. وجاء يغزوها بفنجان قهوة . واذا لم تنه الامر معها هي بالذات جاءت صديقتها وصديقتها صديقتها .. انذاك ستقع على التي تريد . اية واحدة منهن . ايقل أن تكون صديقاتها دميمات ؟ ويحك ايها اللعين أنت تصمت ثانية وهي تنتظر فنجان القهوة . الالام تعود مفاصلك من طول ما وقفت امامها .

- اريد فنجانين من القهوة بسرعة يا ممدوح .

- حاضر أستاذ .

- خذ .

وناوله النقود . وقف . ثمة من يصرخ في الجانب الآخر من النادي . شباب لا يدرسون ونحن في أوج الفحوص . كسالى . اغبياء . لماذا يحجزون المقاعد اذن ؟ ينبغي للجنة الطلبة المسؤولة عن ادارة النوادي أن تطرد خارجا كل طالب لا يحمل كتبه ليقرأها هنا . ويتعالى صوت أجش في الزاوية ذاتها :

- أنت معقد يا عزيزي . غراب .

ولا يسمع اجابة الآخر . ربما كانت هادئة . ثم عاد الصوت الاجش ليدق مسامحه بقوة :

- كلكم من هذا النوع ، تطلبون اليانا أن نكون على مستواكم . كلا ، المسألة غير ما تظنون . ينبغي لنا أن نرفعكم الى مستوانا لا أن ننحدر الى مستواكم .

وتنطح شاب كان يجلس الى مائدة مجاورة تبعد عنهم قليلا .
- ماذا في الامر ؟

- أنت متطفل يا عزيزي - شيبوب بنون عنتر - صفر ، لماذا تدخلت فيما لا يعنيك ؟

- الفكر مباح للجميع .

- البفايا هن الشيء الوحيد المباح للجميع .

ويشب صوت رفيع عال من بعيد :

- والموت .

أجل ، في حزيران كان الموت مباحا للجميع ، وبالجان .. ارحص من البفايا . أه .. ألم تنجز فنجانني القهوة يا ممدوح ؟

- القهوة .

- جاهزة يا أستاذ . تفضل .

- شكرا .

انتبه جيدا لئلا ينقص احد الفنجانين . انها تنتظر الان ،

ها هو يصمت من جديد . ومعنى ذلك ان يمضي في سبيله بحثا عن مائدة اخرى . وهذه الفرصة لن تتكرر ثانية . يجدها وحيدة . نصف ساعة من الاسئلة والاجوبة المنقطعة المتتورة وفترات الصمت الرهقة وهي لم تقل لك كلمة واحدة تريحك « تفضل ، اجلس » .

يا لخيبتك اذن . تعود مرة اخرى الى كتابها ، تضع ساقا فوق ساق وتفوس بين السطور وانت في خضم بحر رملي متحرك . لو انها تبسّم لك مرة واحدة .. لتفتح نفرة تشجيع صغيرة ، تنفسد منها الى الكرسي .. تجلس قبالتها وتتكلم . أجل . ايطسول صمتك هذه المرة ؟ بعض العيون تلمسك بسياط فيها حمى مسعورة . الشمس ستحرق وجهك وجبهتك وتسلق رأس انك بينما أنت واقف كالجدار . هيا . . . تكلم .. جد شيئا .. .

- وماذا تتوقعين أن تكون اسئلة الفد ؟

رفعت رأسها ، هاهي ذي تبسم لك وتجيب باختصار :

- ومن له القدرة على التوقع ؟

نعم . ومن قبل توقع جميعنا غير هذا . كان حزيران امراة حبلى .. خمنا ان المولود ذكر .. ذكر .. ذكر ، واذا بالسخ يعفسر التراب في وجوهنا الجافة ، ويقذف بالوت المجاني في ارواحنا .. هزيمة تنهشنا كالكلاب الفزعة المسعورة . تماما كتلك العيون الحمراء ترتفع عن الكتب لتتفرز في ففالك . تعود من جديد الى كتابها . عينها نصف مغمضتين وشفتاها محكمتا الاغلاق . هدوء . . يفزؤ ، وينز من وجنتيها الحمراءين من فرط المساحيق . لقد قال له احمد ذات يوم :

- تصور انك كنت معها في غرفة محكمة سيئة التهوية .. وهي على شكلها هذا ، ثم خرجت دقيقة ، بينما نومو ، او حزيران ، يسلق الارض ، يذيب القار .

- ولم لا ؟

- لان القناع سينوب هو الآخر .. وستلقاها فتاة اخرى .. وملت وجهها الخطوط ، وثلمت السنون بشرتها . هل تعتقد انك ستتعرف عليها عندما تعود ؟
وضحك من احمد يومها .

وكان حزيران يبتو بسرعة جنونية ، والتوقعات الوحى تتمخض عن خيالات افراح واعراس .. عن لحظة فرح كبرى يستقلها ليجالسها ويكلمها عن الانتصار .. كيفانهم سيودعون احمد قريبا . . ولكن ما باله عاد الى الصمت ثانية ؟ ان الوقوف امامها واعين الطلاب تخزه من كل حذب لعملية شبيهة بالقتل البطيء . فرصة لقائها مرة اخرى وحيدة لن تتكرر .. لقد نفذت الاسئلة وهي لم تقل لك :

- تفضل . اجلس .

اذن جلست ولتنتفست بارتياح .. لرددت النظرات الى هؤلاء

باشد منها .. بل بشماتة .

سنة كاملة وانت تنتظر ان تدعوك الى الجلوس . وهي لم تفعل . اما أنت فلم تمل ، لم ينسل خدر الملل اليك لحظة واحدة . كنت تعتقد انها شيء آخر ومع ذلك فهي دائمة الصمت . ترشق الآخرين باليسمات وتشر عليهم من سلال نظراتها ما يفرقهم في بحور حيرة مريرة . انك لما تزول جامدا في مكانك ، يدك على القعد وعيون الآخرين سهام نار ، وتعليقاتهم خناجر مسمومة . لماذا أنت في حال عسيرة من الخجل ؟ اجلس .. هيا . . . كلا .. كلا .. ينبغي أن اسمعها هي

آخر المساء

« الى الذين ينتظرون الفارس آخر المساء
وينتظرون فقط »

جلود من تأخروا
لتضرب السياط

يا فارس الصحراء لك
مائة ألف قبلة وألف
يا فارس الصحراء لك
سيوفنا المكسورة الشفاه
وكل نصف وجه
وجثة تكومت في الظل
يا فارس النهار شوقنا انفجر
خذه برأس الرمح وانتصر
وخلنا نضحك لحظتين
نعيش لحظتين دون عار
يا فارس النهار
يا فارس النهار خل ليلنا نهار

خلدون الصبيحي

حلب

عيوننا صفاء
عيوننا صفاء
فلننكسر في آخر المساء
نصب كل العار في الجرار
حين يطل الصبح تنكفيء
يا ليته يطل هذا الصبح . . . هذا الصبح
معلق في كف فارس أتى
ولم يجز منتصف الطريق
قاتله العصاة
وتوجوا جبينه جراح
الفارس المغوار صاح :
انا لكم ، انا لكم
يا مائي عيون قريتي نواح
يا قاتلي ابتسامه الصباح
انا لكم ، انا لكم
ولتضرب السياط
جلود من تقدموا

- وسؤال ؟
ولم يرحبوا بك يا مسكين . جلسوا على جميع المقاعد ولم
يق لك مقعد . ضع فنجان القهوة وابحث عن مقعد شاغر .
- هيا اجيني .
هيه مجانين . تريد أن ندرس . اضمت مني الفرصة .
اللعنة .
- هل تستطيع أن تعطيني جواب هذا السؤال بالارقام ؟
هتف درويش بانتصار :
- هيا ، فانا هنا من أجل الأرقام .
أين المقاعد الشاغرة ؟
- كم من انسان مات في العالم الثالث لانه لا يملك ثمن الدواء ؟
ودوخته رغبة الاجابة الملحاحة الفامضة . . لكن دون جدوى .
المقاعد مشغولة وليس من كرسي له . والعالم الثالث يفرق فسي
بحور الموت . لماذا يتساءلون ؟ وفي لحظة دوى صوت طائرة مقاتلة
نفثة اتجهت اليها العيون . . شاخصة . . وظل يبحث عن مقعد
وهي لم ترفع بعد عينيها عن الكتاب . كانت القهوة تبرد رغم شمس
حزيران المحرقة .

نواف ابو الهيجاء

دمشق

- وستجلس من دون أن تدعوك . ثم ، وهو يخطو بحذر ، لسمته جملة
من الصوت الخشن :
- يا عزيزي كلكم تعانون من العقد . أجل . . غريان .
ولماذا يسمحون لمثل هؤلاء أن يرفموا اصواتهم عالية بينما
يدرس الآخرون ؟ خرج من بين الكتل الجالسة الهادئة . عيناه
ملتصقتان بالفنجانين . . يسير ببطء شديد . رفع عينيه لينظر
اليها . . كاد الفنجانان يسقطان من بين اصابعه . ما الذي أتى بكل
هؤلاء الى هنا الآن ؟ كلهم منطلقون . أربعة . . صبية واحدة . .
ويطي انها خطيبة رياض . ماذا افعل الآن ؟ لا بهم : ساجلس
وسيفمر الخجل كلا منهم لانهم قطعوا علينا وحدتنا . رياض وهذا
الآخر . ما اسمه ؟ درويش . هه . . درويش افندي . هذا الطالب
الذي قضى ثمانية اعوام كاملة في الجامعة . . يتناقشان . هذه
مصيبة . كيف يمكن لهما أن يتراكما في جوكما الخاص وهمما
يتناقشان ؟ انت سيء الحظ وحزيران يفتال امكانية الصيد .
صيف ناري وبراري مهجورة ، وفواكه محدودة وغالية الثمن .
حين وصل اليهم ، بعد أن كاد يسقط اثر تمره بحصاة
كبيرة ، كان رياض يصرخ بصوت كذاك الصوت الاجش :
- المشكلة اننا من العالم الثالث .
قال درويش متحمسا :
- اعجب ما في ذلك الامر ، ألم يكونوا مثلنا ؟